

رسم المصحف والخلاف بين القراء رؤية لغوية

د/أبوبكر حسيني (*)

لقد اشترط علماء القراءات لقبول القراءة توافر شروط ثلاثة وهي: العربية والرسم والسند، قال ابن الجزري: "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصح سندها - فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختلف ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عن أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف" (١).

ويراد بالمصاحف العثمانية المصاحف التي كتبت في عهد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وبإشرافه، وذلك عندما كثر الاختلاف في عهده، حتى وصل الأمر إلى الاقتتال، وتكفير بعض المسلمين بعضاً، فبلغ ذلك عثمان، فخطب في الناس قائلاً: أنتم عندي تختلفون، فمن نأى عني من الأمصار أشد اختلافاً (٢). وروى الإمام البخاري في صحيحه "أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان (رضي الله عنه) وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية (٣) وأذربيجان (٤) مع أهل العراق، فأفرع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود

(*) أستاذ محاضر بقسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب، جامعة ورقلة - الجزائر.

والنصارى، فأرسل عثمان (رضي الله عنه) إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالمصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان المصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق^(٥).

إن المقصود برسم المصاحف العثمانية خط المصاحف التي كتبها الصحابة رضوان الله عليهم في عهد الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، وانهقد إجماعهم عليها، وأنفذها عثمان إلى الأمصار الإسلامية^(٦). ويعرفه الزرقاني قائلا: "رسم المصحف يراد به الوضع الذي ارتضاه عثمان (رضي الله عنه) في كتابة كلمات القرآن وحروفه"^(٧)، وبعد رسم المصحف ركنا أساسيا من أركان القراءة الصحيحة المقبولة.

الرسم قسمان: قياسي واصطلاحي، فالقياسي هو كتابة اللفظ بحروف الهجاء مع مراعاة الابتداء به والوقف عليه، وقد وضع النحاة لذلك أصولا وقواعد. أما الرسم الاصطلاحي ويسمى أيضا التوقيفي فهو ما خالف فيه رسم المصحف العثماني أصول الرسم القياسي^(٨)، وهذه الخلافات محصورة في جملة من المسائل سيأتي بيانها.

خصائص الرسم العثماني:

لرسم المصحف الذي ارتضاه الصحابة في عهد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وهو المسمى (الرسم العثماني) خصائص عديدة، نجمها فيما يلي^(٩):

١- الرسم العثماني منقول إلينا خلفا عن سلف، كما كتبه الصحابة من غير زيادة ولا نقصان، عدا نظامي الشكل والنقط المستحدثين في عهد أبي الأسود الدؤلي (ت: ٦٩هـ) ونصر بن عاصم (ت: ٨٩هـ)، والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ).

٢- شكل مختلف القراءات ونقطها خاضع لأنواع الأداءات المتلقاة عن الرسول (ﷺ).

٣- إن رسم المصحف يحتمل جميع القراءات المتواترة عن الرسول (ﷺ)، والقراءة المخالفة للرسم تعد عند العلماء شاذة.

٤- اختصاص الرسم العثماني بقواعد الرسم الستة، وهي: الحذف، والزيادة، والهمز، والبدل، والوصل، والفصل. وما فيه قراءتان فكتب على إحداهما.

خصائص الرسم والخلاف بين القراء:

إذا تأملنا مواضع الخلاف وجدنا أن مسألة رسم المصحف تشكل فيها ظاهرة حقيقة بالدراسة، فكل أشكال الخلاف استوعبها الرسم -كما أسلفنا- كما أن أوجه الأداء تتشكل رسماً بجملته من الآليات، منها:

- الحذف والإثبات.
- رسم هاء التأنيث.
- الوصل والفصل.
- الإعجام والحركات: وإن لم تكن من قواعد الرسم؛ لأنها متأخرة قياساً بتاريخ كتابة المصحف الإمام والمصاحف المستتسخة منه.
- ومن خلال هذه الآليات وغيرها تتنوع أداءات القراء، وإن كان القيد في الخلاف بالرواية لا بالرسم.

١- الحذف والإثبات:

من صور الخلاف في ذلك:

- قوله تعالى: ﴿مَلِكْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الفاتحة: ٤)، قرأ عاصم والكسائي (مالك) بإثبات الألف، وقرأ الباقر (ملك) بحذفها^(١٠).

- وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (البقرة: ٥١)، قرأ أبو عمرو (وعدنا) بحذف الألف، وقرأ الباقر (واعدنا) بإثباتها^(١١).

هذا عن حذف الألف وإثباتها رسماً وأداءً، أما عن إثباتها رسماً وخلافات القراء في إثباتها وحذفها أداءً، ففي مثل: (الظنون، والرسول، والسبيل) من سورة الأحزاب، من قوله تعالى: ﴿وَيُظَنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونُ﴾ (الآية: ١٠)، و﴿يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (الآية: ٦٦)، و﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾ (الآية: ٦٧). فقد أجمعت مصاحف الأمصار على إثبات الألف فيها رسماً، قال الداني: "ولم تختلف مصاحف أهل الأمصار على إثبات الألف في: الظنونا، والرسولا، والسبيل"^(١٢)، لكن أداءً ففي الحذف والإثبات خلاف قال الشاطبي:

وحق أصحاب قصر وصل الظنون والر رسول السبيل وهو في الوقف في حلى قال ابن القاصح^(١٣) في شرحه: "أخبر أن المشار إليهم بحق أصحاب^(١٤) وهم: ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص قرءوا: ﴿وَيُظَنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونُ﴾، ﴿وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾، ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾ بالقصر في الوصل، يعني بغير ألف بعد النون واللام، فتعين للباقرين القراءة بالمد، أي بإثبات الألف في الوصل. ثم أخبر أن المشار إليهما بالفاء والحاء في قوله: (في حلا) وهما حمزة وأبو عمرو قصرًا في الوقف، أي لم يأتيا بالألف؛ فتعين للباقرين الإتيان بألف في الوقف، فصار نافع وابن عامر وشعبة بالألف في

الحالين، وأبو عمرو وحزمة بالقصر في الحالين، وابن كثير والكسائي وحفص بقصر الوصل ومد الوقف^(١٥).

من خلال كلام ابن القاصح يتضح أن نافعاً وشعبة وابن عامر يقرعون بإثبات الألف وصلًا ووفقًا تبعًا للرسم، وابن كثير وحفص والكسائي يقرعون بإثبات الألف وقفًا وحذفها وصلًا؛ إجراء للفواصل مجرى القوافي في ثبوت ألف الإطلاق، وأبو عمرو وحزمة يقرآن بحذفها وصلًا ووقفًا؛ لأنها لا أصل لها^(١٦).

والحقيقة أن الحذف والإثبات لا يخص الألف فحسب، بل الواو والياء أيضًا، ومن أمثلة حذف الواو وإثباتها أداء، الخلاف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٤٣)، قرأ أبو عمرو وشعبة وحزمة والكسائي بحذف الواو التي بعد الهمزة فتصير على وزن (فعل) وقرأ الباقون بإثبات الواو، على وزن (فُعول)^(١٧). هذا من جهة الأداء أما ما تعلق بالرسم فإنه تحذف إحدى الواوين من الرسم اجتزاء بإحداهما، وذلك نحو (ولا تلون) و(لا يستون) و(الغاون)، كما تحذف الواو اكتفاء بالضمّة في مثل ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَ بِالْخَيْرِ﴾ (الإسراء: ١١) و﴿يَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ (الشورى: ٢٤)، ﴿يَدْعُ الدَّاعِ﴾ (القمر: ٦٠)، و﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ (العلق: ١٨)، وقال أبو عمرو: "ولم تختلف المصاحف في أن الواو من هذه المواضع ساقطة، وكذا اتفقت على حذف الواو من قوله في التحريم: ﴿وَصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آ: ٤)"^(١٨).

ومن أمثلة حذف الياء وإثباتها الخلاف في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ (الكهف: ١٧)، قرأ نافع وأبو عمرو بإثبات الياء وصلًا وحذفها وقفًا، وقرأ الباقون بحذفها في الحالين^(١٩)، وتسمى هذه الياء بالياء المحذوفة أو الزائدة على الرسم، وهذا الموضع من جملة المواضع التي حذفت فيها

الياء اجتزاء بكسر ما قبلها، ومثل: فارهبون، فاتقون، تتبعن، نكير،... وبالمقابل هناك مواضع اتفق القراء على إثبات الياء فيها، وإن كانت مثل سابقتها في البناء؛ موافقة لرسم المصحف، مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ (الأعراف: ١٧٨)، اتفق القراء على إثبات يائه في الحالين موافقة لرسم المصحف^(٢٠).

٢- رسم هاء التانيث :

المقصود بهاء التانيث هي التي تكون في الوصل تاء وفي الوقف هاء سواء رسمت في المصاحف بالهاء أم بالتاء^(٢١)، ويدخل تحتها كل ما ضارعا في اللفظ، مثل: همزة (لمزة)، وقد وردت في القرآن كلمات كثيرة رسمت هاءات تانيثها تاء مفتوحة على غير قياس، واختلف القراء في الوقف عليها بالتاء مراعاة للرسم أم بالهاء مراعاة للأصل، ثم إن بعضا منها اختلف القراء في قراءته بين الأفراد والجمع، ويدخل في هذا الإطار إثبات الألف الدالة على الجمع وحذفها.

يقول ابن الجزري في شأن المواضع المختلف فيها: "كل هاء تانيث رسمت تاء نحو: رحمت ونعمت، وشجرت... على قسمين: قسم اتفقوا على قراءته بالأفراد، وقسم اختلفوا فيه، فالقسم المتفق على إفراده جملته في القرآن أربع عشرة كلمة... والقسم الذي قُرأ بالأفراد والجمع ثمانية أحرف"^(٢٢) وهي:

- ﴿كلمت ربك﴾ في (الأنعام : ١١٥، يونس : ٣٣، ٩٦، غافر : ٦)
- ﴿ءايت للسانلين﴾ في (يوسف : ٧).
- ﴿غيبب الجب﴾ في (يوسف : ١٠، ١٥).
- ﴿ءايت من ربه﴾ في (العنكبوت : ٥٠).
- ﴿وهم في الغرفات ءامنون﴾ (سبأ : ٣٧)

- ﴿على بينت منه﴾ في (فاطر : ٤٠)
 - ﴿وما تخرج من ثمرت﴾ في (فصلت : ٤٧)
 - ﴿كأنه جملت صفر﴾ في (المرسلات : ٣٣)
- فمن ذلك الخلاف في قوله تعالى: ﴿فهم على بينت منه﴾ (فاطر: ٤٠) قرأ نافع وابن عامر وشعبة والكسائي (بينت) بالالف على الجمع، وقرأ الباقر (بينت) بغير ألف على الإفراد^(٢٣). ومن قرأ بالجمع وقف بالتاء كسائر الجموع، ومن قرأ بالإفراد: فمنهم من وقف بالهاء، وهما ابن كثير وأبو عمرو، ومنهم من وقف بالتاء وهما حفص وحزمة^(٢٤).

من هنا يتبين أن رسم هاء التانيث تاء استوعب أوجه الأداء المختلفة بين الإفراد والجمع، والملاحظ أن كل المواضع المختلف فيها بين الإفراد والجمع مما ينتهي بهاء التانيث رسمت فيها تاء، ولم نجد موضعاً واحداً مختلف فيه رسمت هاء تانيثه هاء؛ لتعذر استيعاب الرسم أداءات الخلاف.

٣- الوصل والفصل :

من مظاهر الرسم التي لها علاقة باختلاف الأداء عند القراء الفصل والوصل، فبعض المواضع حقها أن ترسم موصولة قياساً، لكنها رسمت في المصاحف مقطوعة اصطلاحاً، وقد تباينت أداءات القراء في مثل هذه الحالات تبعاً للرسم من حيث الوقف والابتداء، من ذلك أن لام الجر وردت في القرآن مفصولة عما بعدها في أربعة مواضع^(٢٥)، وهي: ﴿فمال هؤلاء القوم﴾ (النساء: ٧٨)، و﴿مال هذا الكتب﴾ (الكهف: ٤٩) و﴿مال هذا الرسول﴾ (الفرقان: ٧) و﴿مال الذين كفروا﴾ (المعارج: ٣٦). فنلاحظ أن اللام مفصولة رسماً عما بعدها، والقياس أن تكتب: فما لهؤلاء، فما لهذا، فما للذين.....

قال إبراهيم المارغني: "اعلم أن قطع لام الجر في مال هؤلاء ونظائره، وإن جاء على الأصل الأول^(٢٦)، لكنه مخالف للأصل الثاني^(٢٧)؛

وذلك لأن الأصل الأول في جميع الكلمات هو القطع، إلا أنه قد يعرض لبعض الكلمات ما يصير به الوصل أصلاً ثانياً فيه، ككون الكلمة لا تستقل بنفسها كاللام والباء والكاف التي هي من حروف المعنى، فرسم كتاب المصاحف لام الجر في المواضع الأربعة على الأصل الأول، وهو القطع، ورسوموا سائر ما يماثلها من المواضع التي فيها لام الجر على الأصل الثاني وهو الوصل، تنبيهاً على جواز الوجهين عندهم واستعمال الأمرين في عصرهم^(٢٨).

وقف أبو عمرو على "قما" دون اللام في المواضع الأربعة، واختلف عن الكسائي، فروي عنه الوقف على "ما" دون اللام كأبي عمرو، وروي عنه الوقف على اللام، ووقف باقي القراء على اللام، ويرى ابن الجزري أن الصواب جواز الوقف على "ما" أو على "اللام" لجميع القراء، قال: "والمتفق عليه من هذا الفصل جميع ما كتب مفصلاً سواء كان اسماً أو غيره فإنه يجوز الوقف فيه على الكلمة الأولى والثانية عن جميع القراء"^(٢٩). وتجدر الإشارة إلى أنه لا يجوز الوقف على "ما" أو على "اللام" إلا اختباراً....^(٣٠) أو اضطراراً^(٣١) فقط، فإذا وقف على "ما" أو على "اللام" في حالة الاختبار أو الاضطرار، فلا يجوز الابتداء باللام أو بهؤلاء، لما في ذلك من فصل الخبر عن المبتدأ أو المجرور عن الجار^(٣٢).

هذا نموذج عن علاقة الفصل والوصل في رسم المصحف بالخلاف بين القراء، والنماذج في هذا الشأن عديدة، يرجع إليها في مظانها.

٤- الإعجام والحركات :

على الرغم من حداثة الإعجام والحركات، أو ما يعرف قديماً بنقط الإعراب ونقط الإعجام، قياساً بزمان كتابة المصحف، كما أنهما لا يدخلان ضمن قواعد رسم المصحف كما رأينا- فإن لهما علاقة وطيدة بالصياغة

الشكلية لأداءات القراء، بل يمثلان في كثير من الأحيان محور الخلاف بين القراء .

أ- الإعجام :

تكاد تجمع المصادر العربية^(٣٣) على أن أبا الأسود الدؤلي هو أول من وضع نقاط الإعراب، وأن نصر بن عاصم أول من وضع نقاط الإعجام، وذلك عندما فشا اللحن في القرآن، وخشي المسلمون تعاضم الأمر وبلوغه حدا لا تحمد عواقبه، قام أبو الأسود بإيعاز من ولي الأمر^(٣٤) بنقط المصحف نقط إعراب، ولما انتشرت وذاعت ظهرت مشكلة أخرى للمسلمين غير العرب خاصة، وهي صعوبة التمييز بين صور الحروف المتشابهة في الرسم مثل الحاء والحاء، والباء والتاء والتاء؛ فكلف نصر بن عاصم لحل هذا الإشكال، فوضع نقط الإعجام. وإن كانت الروايات مضطربة في أمر واضع نقط الإعجام: فمن قائل إنه نصر بن عاصم، وقال آخرون إنه يحيى بن يعمر (ت: قبل ٩٠هـ)، ويروى أن يحيى بن يعمر نقط مصحف ابن سيرين (ت: ١١٠هـ)، قال الداني: "وروي أن ابن سيرين كان عنده مصحف نقطه يحيى ابن يعمر، وأن يحيى أول من نقطها"^(٣٥).

إن الذي يعنينا من مسألة الإعجام هو علاقتها بالخلاف بين القراء، وكيف صورت نقط الإعجام أشكال الخلاف، فمن ذلك: الخلاف في قوله تعالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نَنْشُرُهَا﴾ (البقرة: ٢٥٩): قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو (ننشرها) بالراء، وقرأ الباقر (ننشزها) بالزاي^(٣٦).

ومن ذلك أيضا الخلاف في قوله تعالى: ﴿أَنْسُجْ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نفورا﴾ (الفرقان: ٦٠). قرأ حمزة والكسائي (يأمرنا) بياء الغيبة، وقرأ الباقر (تأمرنا) بقاء الخطاب^(٣٧).

من خلال هذين النموذجين يتضح أن نقط الإعجام (ب، ت)، (ر، ز)، وسوى ذلك - أسهمت في تجسيد صور الخلاف بين القراء، وأن القارئ للقرآن يتمكن من معرفة أوجه القراءة - إلى حد كبير - إذا تحدت له نقط الإعجام، وإن كانت لا تكفي، مع غياب الحركات وغيرها من المحددات، هذا، والقيد الأساسي لا يكون في الرسم - كما أسلفنا - بل بالرواية، فالرسم تجسيد لمعالم الأداء وتحديد لخصائصه.

ب- الحركات :

إن الحديث عن الحركات يعود بنا إلى واضع أسسها، وهو أبو الأسود الدؤلي، فقد كانت بواورها حينما كان يضع اللبانات الأولى لعلم العربية، قال عوض القوزي: "أما وقد أصبح من المقطوع به أن أوليات النحو كانت على يد أبي الأسود الدؤلي... وهو بالطبع نحو يمثل الطفولة المبكرة لهذا العلم، خال من التعليل والتقعيد، لا يخضع إلا لأسلوب العربية في الكلام... ويبدو لي أن أول خطوة خطاها أبو الأسود في هذا السبيل هي (نقط المصحف) أو نقط الإعراب"^(٣٨).

وروى العسقلاني في الإصابة عن أبي العباس المبرد قوله: "أول من وضع العربية ونقط المصحف أبو الأسود"^(٣٩)، وأورد الداني في كتاب النقط ما نصه: "اختلفت الرواية لدينا فيمن ابتدأ بنقط المصاحف من التابعين، فروينا أن المبتدئ بذلك كان أبو الأسود الدؤلي، وذلك أنه أراد أن يعمل كتابا في العربية يقوم الناس به ما فسد من كلامهم؛ إذ كان قد نشأ ذلك في خواص الناس وعوامهم، فقال أرى أن أبتدئ بإعراب القرآن أولا، فأحضر من يمسك المصحف وأحضر صبغا يخالف لون المداد، وقال للذي يمسك المصحف عليه: إذا فتحت فاي فاجعل نقطة فوق الحرف، وإذا كسرت فاي فاجعله نقطة تحت الحرف، وإذا ضممت فاي فاجعل نقطة أمام الحرف، فإن

اتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة - يعني تنوينا - فاجعل نقطتين، ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف^(٤٠).

واستمر الناس يتعلمون هذه الرموز، وهي نقط الإعراب؛ للدلالة على الحركات، حتى وضع نصر بن عاصم - أو يحيى بن يعمر، على أصح الرأيين - نقط الإعجام، ثم لما تداخل على الناس رموز الإعراب برموز الإعجام، وكثرت النقاط على المصحف هجر الناس نقاط الإعراب، واستبدلت بغيرها، فقد ذكر الرواة أن الحجاج بن يوسف (ت: ٩٥هـ) في ولايته على العراق (٧٤هـ - ٩٥هـ) أمر نصر بن عاصم، أو يحيى بن يعمر بإعجام حروف المصحف لتمييز الحروف بعضها من بعض^(٤١)، والظاهر أن الناس قد تشابهت عليهم نقط الإعراب ونقط الإعجام، فأخذوا يبحثون عن طريقة جديدة لبيان الإعراب كبديل عن النقاط^(٤٢)، وأرجح الآراء^(٤٣) على أن الخليل ابن أحمد هو واضع الرموز الدالة على الحركات، وهي التي نراها اليوم، بدلاً من نقاط أبي الأسود.

يقول الداني في المحكم: "الشكل الذي في الكتب من عمل الخليل، وهو مأخوذ من صور الحروف، فالضمة ولو صغيرة الصورة في أعلى الحرف؛ لئلا تلتبس بالواو المكتوبة، والكسرة ياء صغيرة تحت الحرف، والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف"^(٤٤).

وعلى أية حال، فرموز الحركات (— ، — ، — ، —)^(٤٥)، التي أثبتت في المصاحف في عهد الخليل إلى أيامنا هذه - جسدت هي الأخرى صور الخلاف بين القراء السبعة، مما يقرأ بالفتح أو بالكسر، أو بالضم أو بالسكون، من ذلك الخلاف في قوله تعالى: ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ (البقرة: ١١٠) قرأ ابن عامر وحزمة والكسائي (ترجع) بفتح التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقر (ترجع) بضم التاء وفتح الجيم^(٤٦). ومنه

أيضاً الخلاف في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنَّا جَعَلْنَا لَكَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ (لقمان: ١٦)، قرأ نافع (متقال) بالرفع، وقرأ الباكون (متقال) بالنصب^(٤٧). نلاحظ أن رسم الكلمتين (ترجع)، و(متقال) من حيث نظام تشكيلة البنية في الأولى، والوظيفة الإعرابية في الثانية احتمل أكثر من وجه، وعليه فتتووع أوضاع الحركات عليها بما يحقق ما ذكرنا من الوظائف التشكيلية أو الإعرابية أو غيرها - أكسبها هذه الأهمية؛ إذ الحركات من جانب رسمها، وإن كان الأمر شكلياً - تصور لنا أوجه الأداء المختلفة بين القراء؛ مما يمكننا من سلامة التلاوة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن القيد الأساسي هو الرواية لا الرسم.

الهوامش

- ١- النشر في القراءات العشر: ٩/١.
- ٢- شهاب الدين القسطلاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات، ٥٩/١؛ ويراجع: المقنع للداني، ص ٧.
- ٣- إرمينية : بكسر الهمزة وسكون الراء، وكسر الميم، ثم ياء ساكنة وبعدها نون مكسورة ثم ياء مفتوحة مخففة، قال عنها ياقوت الحموي: النسبة إليها أرمني على غير قياس. يراجع معجم البلدان لياقوت الحموي، ١٥٩/١، ١٦٠، وهي منطقة جبلية في شمال شرق آسيا بين الأناضول وأنجاد إيران جنوبي القوقاز، تتبع فيها أنهر عديدة أهمها: أراكس، دجلة والفرات...يراجع: المنجد في اللغة والأعلام، لبطرس حروفش وآخرين، ص ٣٦.
- ٤- أذربيجان: بفتح الهمزة وسكون الذال وفتح الراء وكسر الباء وياء ساكنة بعدها، قال عنها ياقوت: هي صقع جليل ومملكة عظيمة، النسبة إليها أذري، وقيل: أذربي، يغلب عليها الجبال فيها خيرات كثيرة وفواكه جمّة، ينظر: معجم البلدان: ١٢٨/١، ١٢٩. وهي من جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً، تقع على سواحل بحر قزوين أهم محصولاتها القطن والبترو. يراجع المنجد في اللغة والأعلام، ص ٢، وقد استقلت حديثاً هي وأرمينية وغيرهما من الجمهوريات الإسلامية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي .

- ٥- رواه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، تحت رقم ٤٩٨٧، ينظر: صحيح البخاري: ٢٣٨/٣ .
- ٦- يراجع: ابن القاصح، سراج القارئ المبتدي وتذكّر المقرئ المنتهي، ص ٧٨، والوافي في شرح الشاطبية، ص ١٧٩، ودليل الحيران على مورد الظمان في فني الرسم والضبط باعتبار قراءة الإمام نافع، لإبراهيم بن أحمد المارغني، ص ٣٧، وعن عدد المصاحف المكتوبة، والأمصار المرسلّة إليها يقول الداني في المقنع: "أكثر العلماء على أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما كتب المصحف جعله في أربع نسخ، وبعث إلى كل ناحية من النواحي بواحدة منهم، فوجه إلى الكوفة إحداهن، وإلى البصرة أخرى، وإلى الشام الثالثة، وأمسك عند نفسه واحدة، وقد قيل: إنه جعله سبع نسخ، ووجه من ذلك أيضا نسخة إلى مكة ونسخة إلى اليمن ونسخة إلى البحرين، والأول أصح وعليه الأئمة" المقنع، ص ٩، ويراجع: مناهل العرفان: ٣٢٩/١، ٣٣٠.
- ٧- مناهل العرفان، للزرقاني: ٣٠٠/١.
- ٨- دليل الحيران على مورد الظمان: ص ٣٧.
- ٩- خالد عبد الرحمن العك: تاريخ توثيق نص القرآن الكريم، ص ٥٨، ٥٩، ويراجع: القراءات القرآنية وأثرها في التفسير والأحكام: ٣٤٩/١ .
- ١٠- التيسير: ص ٢٧، والنشر: ٢٢١/١، والإرشادات الجلية: ص ٢٨.
- ١١- التيسير: ص ٦٣، والنشر: ٢١٢/٢، والإرشادات الجلية: ص ٣٦.
- ١٢- المقنع: ص ٣٩.
- ١٣- هو الإمام أبو القاسم علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن القاصح البغدادي (ت، ٨٠١هـ).
- ١٤- حق، وصحاب من رموز الشاطبية، ذلك أن متن الشاطبية (حز الأمان) لما كان مبنيًا على الإيجاز والاختصار، فإنه سلك في نسبة للقراءات إلى القراء مسلكا قريدا، فرمز إلى كل واحد من القراء السبعة مع راوييه بكلمة ثلاثية الأحرف، فرمز بالحرف الأول إلى القارئ الإمام، وبالحرف الثاني إلى الراوي الأول، وبالحرف الثالث إلى الراوي الثاني، قال الشاطبي:

وها أنا ذا أسعى لعل حروفهم يطوع بها نظم القوافي مسهلا
جعلت أباجاد على كل قارئ دليلا على المنظوم أول أولا

ورموز الشاطبية قسمان: رموز انفرادية، ورموز اجتماعية، فالانفرادية هي الرموز الخاصة لكل إمام أو راوييه مثل أبج: أ = نافع، ب = ورش، ج = قالون، ودهز: د = ابن كثير، هـ = البزي، ز = قبل، وهكذا، أما الرموز الاجتماعية فهي: ث = عاصم وحمة والكسائي، خ = الجميع سوى نافع، ذ = عاصم وحمة والكسائي وابن عامر، ظ = عاصم وحمة والكسائي وابن كثير ... صحبة = حمزة والكسائي وشعبة؛ صحاب = حمزة والكسائي وحفص؛ عم = نافع وابن عامر..... وغيرها من الرموز التي أبدع فيها الشاطبي وضمنها قصيدته، فكانت أعجوبة في استيعاب فن القراءات.

١٥- سراج القارئ المبتدي (شرح الشاطبية): ص ١٦٨، ويراجع الوافي في شرح الشاطبية: ٣٤٤.

١٦- الإرشادات الجلية: ص ٣٧٣.

١٧- التيسير: ص ٦٦، والكافي: ص ٨٢، والنشر: ٢٢٣/٢.

١٨- المقنع: ص ٣٥.

١٩- التيسير ص ١١٩ والكافي ص ١٤٤، والنشر: ٣١٦/٢.

٢٠- الإرشادات الجلية: ص ١٧٨.

٢١- لأن مذهب الكسائي أن يقف على جميع ذلك بالهاء مراعاة للأصل، يراجع الوافي في شرح الشاطبية ص ١٥٨.

٢٢- النشر: ١٣٠/٢، ويراجع: المقنع، ص ٨١.

٢٣- التيسير: ص ١٤٨، والنشر: ٣٥٢/٢، والإرشادات الجلية: ص ٣٨٥.

٢٤- الإرشادات الجلية: ص ٣٨٥، ويراجع النشر: ١٣١/٢، فمن قرأ بالافراد ووقف بالهاء فاعتداده بالأصل وتنبهها إليه، ومن وقف بالتاء فمراعاة للرسم، يراجع في هذا

الشأن: سراج القارئ المبتدي، ص ٨٠.

٢٥- يراجع المقنع للداني: ص ٧٥.

٢٦-٢٧- أعتقد أن المقصود بالأصل الأول والأصل الثاني ما كانت عليه الكتابة من قبل من فصل ووصل وغيرها، وما صارت إليه بعد ذلك.

٢٨- دليل الحيران على مورد الظمان: ص ٢٣٠.

٢٩- النشر: ١٤٧/٢، ويراجع: الوافي في شرح الشاطبية، ص ١٨١، والإرشادات: ص ١١٠.

٣٠- الوقف الاختباري، هو ما يقصد للامتحان والاختبار والتعليم؛ لبيان المقطوع من الموصول والثابت من المحذوف، ونحو ذلك، ينظر: الوقف ووظائفه عند النحويين والقراء، حوليات كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، للدكتور محمد خليل نصر الله فراج، الحولية ٢١، الرسالة ١٥٩ سنة ٢٠٠١، جامعة الكويت، ص ١٧، ويراجع: الإتيان في علوم القرآن.

٣١- الوقف الاضطرابي: وهو الذي يعرض للقارئ لحاجة ليست في اختياره، كالنسيان أو العتاس أو انقطاع النفس، ونحوه؛ فيقف على أي كلمة شاء. ينظر: الوقف ووظائفه عند النحويين والقراء: ص ١٧.

٣٢- الإرشادات الجلية: ص ١١٠، يراجع: الوافي في شرح الشاطبية: ص ١٨١، ١٨٢؛ وغيث النفع في القراءات السبع لعلي النوري السفاقي، ص ٥٠.

٣٣- يراجع في شأن الروايات حول نقط الإعراب والإعجام؛ كتاب النقط لأبي عمرو الداني، وهو بذيل كتاب المقنع، ص ١٢٤ وما بعدها، وأخبار النحويين البصريين، للسراقي، ص ١٦-١٧؛ ومراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي، ص ٢٠ وما بعدها. والفهرست لأبن النديم ص ٦١، ٦٢، وتاريخ آداب العربية لجرجي زيدان: ١/ ٢٢٠، ٢٢١، وظاهرة الإعراب في النحو العربي لأحمد سليمان ياقوت؛ ص ٥٥ وما بعدها، والمدارس النحوية لشوقي ضيف: ص ١٣، ١٤... ١٧.

٣٤- لم نذكر ولي الأمر لتضارب الروايات حول من أمر أبا الأسود الدؤلي بما صنع، فتارة يقال: علي بن أبي طالب، وطورا: زياد بن أبيه، وتارة: الحجاج بن يوسف، ومنهم من قال: إنه فعل ذلك من نفسه، وغير ذلك، يراجع كتاب النقط: ص ١٢٤، ١٢٥، ومناهل العرفان: ١/ ٣٣١، ٣٣٢.

٣٥- كتاب النقط: ص ١٢٥.

٣٦- التيسير: ص ٧٠؛ والنشر: ٢/ ٢٣١؛ والإرشادات الجلية: ص ٦٧.

٣٧- التيسير: ص ١٣٣؛ والنشر: ٢/ ٣٣٤؛ والإرشادات الجلية: ص ٣٣٦.

٣٨- عوض حمد القوزي: المصطلح النحوي: نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ص ٣٠.

٣٩- ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، ٢/ ٢٤٢.

٤٠- كتاب النقط: ص ١٢٤، ١٢٥.

- ٤١- المدارس النحوية، لشوقي ضيف، ص ١٧.
- ٤٢- ظاهرة الإعراب في النحو العربي، ص ٥٥.
- ٤٣- ذهب جرجي زيدان إلى عدم نسبة هذا الأمر إلى أحد تاركا الأمر مبهما، يقول: "أما صور الحركات التي وصلت إلينا، نعني الفتحة والضمة والكسرة - فلا نعلم واضعها أو واضعيها، ولا الزمن الذي وضعت فيه، ولكن الغالب أنها وضعت في القرون الوسطى للإسلام" تاريخ آداب اللغة العربية، ص ٢٢١/١.
- ٤٤- المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو الداني، ص ٧، وكذلك نص بروكلمان في تاريخ الأب العربي ٤٥٣/١.
- ٤٥- على رأي من يلحق السكون بالحركات، ويعتبره قسيما لها. يقول الدكتور كمال بشر: "وهذه المجموعة تمثل اتجاها قويا بين لغويي العرب، والمتأخرين منهم بوجه خاص، يعامل أصحاب هذا الاتجاه السكون على أنه حركة، أو كما لو كان كذلك، حيث ينعنون صراحة بمصطلح "حركة"، ويجعلونه قسيما للحركات، وواحداً في سلسلة عددها، أو هم - على أقل تقدير - يقرنون السكون بالحركات، وينسبون إليه ما لها أو لبعضها من خواص صوتية أو وظيفية". ينظر : دراسات في علم اللغة، د/كمال بشر، ص ١٤٧.
- ٤٦- التيسير: ص ٦٨، والنشر: ٢/٢٠٨، ٢٠٩، والإرشادات الجلية: ص ٥٩.
- ٤٧- التيسير: ص ١٢٦، والنشر: ٢/٣٢٤، والإرشادات الجلية: ص ٣٦٩.